البر بالفقراء

"محاضرة حضرة صاحب المعالى الأستاذ عبد المجيد بدربك وزير الشئون الاجتماعية التى افتتح بها برنامج إذاعات الوزارة فى شهر رمضان المعظم فى الساعة العاشرة والنصف من مساء يوم السبت الموافق ١١ أغسطس سنة ١٩٤٥ من محطة الاذاعة اللاسلكية الحكومة المصرية" .

تعود المسلمون منذ القدم أن يتجملوا فى رمضان بطائفة من المظاهر الكريمة التى يضفيها جلال ذلك الشهر المبارك، فمنهم من يغشى المساجد فيه وهو يهجرها فى سائر الشهور، ومنهم من يتصدق على الفقراء فى أيام الصيام ولا يذكرهم فى مدار العام، ومنهم من ينفق عن سعة على مآدب الأفطار يدعو اليها كل مستغن عنها أو متورط فيها وكان أكرم عند الله أن تقام للمعوزين الذين تكاد تجف أكبادهم من المسغبة .

وقد ضرب لنا جلالة الملك المعظم مثلا كريما فى البر بالفقراء، فأمر حفظه الله بإطعام جميع فقراء القطر فى خلال شهر رمضان المعظم ، على نفقة جلالته الخاصة ، فهلا اقتدى الأغنياء بهذا المثل الكريم ؟

ان لوزارة الشئون الاجتماعية بضعة عشر مطعما شعبيا فى القاهرة والاسكندرية؛ فليت الاغنياء فى عاصمتى القطر، ينتهزون فرصة هذا الشهر المعظم ويتبرعون بما تجود به نفوسهم لتمكين هذه المطاعم من مضاعفة عدد الوجبات التى تقدمها للفقراء فى حدود الاعتمادات التى خصصتها لنا الحكومة وهى قليلة بالنسبة للمحتاجين الى هذه المساعدة الانسانية طول السنة ، ولو تضاعف عدد المطاعم ذاتها الى عشرة أمثاله فى الوقت الحاضر لما استغرقت المستحقين لهذه المعونة .

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم "وابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة "، وليس شىء أحب الى الله وأدعى لرضائه وأضمن لحسن لقائه من البر بالفقراء والاحسان اليهم وترويح نفوسهم من هجير الفاقه وتبليل بطونهم من حريق الجوع .

ولقد فرض الله الزكاة على المسلمين وجعلها من أهم أركان الدين الحنيف حماية للمجتمع من الرجات العنيفة ، وكان بيت المال يتولى جمعها والأنفاق منها على الفقراء كل على قدر حاجته ، وبذلك انتفت ضغائن الطبقات ووقى الله الأغنياء شر الأعين .

غير أن الناس فى زمننا هذا قد تحللوا من قيود الدين ، وتنصلوا من فرائضه الحكيمة وتقطعت حبال التراحم بينهم ، وسادت فيهم عبادة المادة وتخلفت جموع هائلة من الفقراء عن قافلة الانسانية ، وهى فى هذا التيه عرضة للضلال ، فان لم تتقذها فئة من الرحمة مالت بها الآراء الجامحة ، واشتعلت فيها نار الضغينة ، ويومئذ لا يصلى سعيرها إلا الأغنياء ؟

انى أعيذ أمتى من هذا المصير ، وأرجو أن تجد فيما وقع لغيرنا من الأمم عبرة بالغة ، والسعيد من وعظ بغيره ، ولقد تضافرت الأدلة على أن التكافل الاجتماعى هو الوسيلة الوحيدة لسيادة النظام وتحقيق الرخاء العام ، وضمان التقدم العمرانى فى هذه الحياة ، ولقد شرعت الدول العظمى لرفع مستوى المعيشة بين الطبقات الفقيرة فيها فما أحوجنا الى التشبه بها ، لأن نسبة الفقراء فينا أكبر ، ومستوى معيشتهم أحط ، وقد لجأ تلك الدول الى اجراءات يشق على أغنيائنا أن يسيغوها ، فليتهم يسارعون بوحى من ضمائرهم الى تلبية النداء الكريم الذى تفضل بتوجيهه جلالة الملك المعظم الى شباب البلاد وقال حفظه الله فيه :

" ان عليكم أن تحاربوا الفقر والمرض والجهل والخوف ، فليكن لجيشكم نشيد جديد نغمته الايمان بحق بلادكم ، وحق الفقير فى أن يعيش ، وحق المريض فى أن يصح ، وحق الجاهل فى أن يتعلم ، وحق الخائف فى أن يطمئن " .

أما حق البلاد فكلنا سواء فى الايمان به ، والاستعداد للفداء فى سبيله ، وأما سائر الحقوق ففى كفالة الدولة ، ولكن مواردها لا تتسع فى حدودها الحاضرة لقضائها ، ولا بد من الاستعانة بفضل الأغنياء على أدائها

وفى وسع القادرين فى كل قرية أن يتكفلوا بفقرائها ، ومظهر ذلك فى رفق الملاك بالمستأجرين ، ورحمة هؤلاء وأولئك بالاجراء ، بحيث يتيسر لعامة الناس أن يعيشوا عيشة لائقة بانسانيتهم فى هذا القرن العشرين ، ولو علم الأغنياء ما يعود عليهم من النفع اذا صحت أجسام عمالهم ، فبادروا الى التبرع باقامة المستشفيات فى كل أرجاء البلاد حتى يتيسر لكل مريض حقه فى أن يصح ، وبذلك تتوفر القوة التى يأكلها الداء ، ومن مصلحة الانتاج القومى أن نحافظ عليها ونعمل على تخليصها من براثن الأمراض .

ولا شك فى أن الجهل من أعوان المرض ، ولذلك كان التعليم من أسباب الوقاية فضلا عن كونه نورا يهدى صاحبه الى معرفة الحقوق والواجبات .

وستبدأ فى أول السنة الدراسية المقبلة مكافحة الأمية ، وقد ثبت من الإحصاءات الرسمية أن نسبة المواظبة على الحضور قد تحسنت كثيرا فى مدارس التعليم الالزامى بسبب ما استحدث فيها من نظام التغذية ، وهو أحد وجوه البر بالفقراء ، فاذا استطاعت الخزانة

العامة أن تنفق على التعليم فى ذاته ، فانه يعين على نجاحه أن يساهم الأغنياء فى نفقات التغذية اكتسابا للمثوبة ، وتشجيعا لمن يذهله الجوع عن استيعاب الدروس .

أما حق الخائف فى أن يطمئن ، فأهل المقصود به العمال المتعطلون ، ولست أرى أحد يساوره خوف أشد من خوف العامل العاطل ، ولقد وضعت الحرب أوزارها فى أوروبا وشرعت البيوت فى تسريح العمال المصريين الذين ساهموا بأكبر قسط فى إحراز النصر ، وحذقوا مهنهم المختلفة أثناء تمرينهم سنوات طويلة ، وليس للبلاد أمل فى رفع مستوى المعيشة أكبر من أملها المعقود على النهضة الصناعية ، فاذا كان البر بالفقراء واجبا فالبر بهؤلاء العمال المتعطلين أوجب ، ولكنى لا أستندى لهم أكف المحسنين ، فانى مهندس نشأت بين العمال وأنا الوزير المختص بشؤونهم ، ولا أقبل أن أستجدى باسمهم ، وانما أهيب بالأغنياء من أهل المدن وأصحاب المصانع والمتاجر وملاك العمارات الضخمة والأموال الطائلة أن يبادروا الى المساهمة فى شراء المصانع التى توشك أن تطردهم ، ومن الميسور تحويلها الى الانتاج المدنى ، وبذلك نقيم فى صرحنا الصناعى ركنا من أهم الأركان ، ونحفظ على هؤلاء العمال نعمة العمل الشريف ، ونستغل الأموال المكدسة فى المصارف بغير فائدة فى صناعات مضمونة الفوائد ، ونتقى شر البطالة الذى يهدد أمن الناس فى عواصم البلاد .

أيها الأغنياء — هل أدلكم على تجارة لا تبور ؟ هل أرشدكم الى شفاعة لا ترد يوم لا ينفع مال ولا بنون ؟ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" اتخذوا لدى الفقراء صنائع فان لهم الدولة يوم القيامة " !